٦ ـ النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

المرأة :

ومما آخذه على الكماليين خطتهم فى تربية النساء ، فقد أخذوا بيد المرأة التركية ، ربة الدار الطاهرة ، وأم الأشبال الباسلة ، فقادوها إلى المراقص ، والملاهى ، ومجالس السمر أخذاً بسنن أوربا ؛ وسموا هذا تحريراً للمرأة وانصافاً لها واعظاماً ، واعترافاً بقدرها ، كأن المرأة لاتكون حرة إلا إذا هجرت الدار ، وعمرت المراقص ؛ وأهملت أطفالها لتجالس سُمّارها ، وتركت سكينة الدار وسعادة الأسرة ، إلى ضوضاء الملاهى ونزاع المحافل ! لست آخذ على الكماليين أنهم تركوا المرأة تمشي المراقص اختياراً ، ولم يردوها إلى الدار قسراً ، بل آخذ عليهم أنهم لم دعوها إلى ذلك ، وحرضوها عليه ، وزينوه لها ، بل ألزموها به بعض الالزام حين نظروا شزراً إلى الموظفين الذين لا يأخذون زوجاتهم باتباع السنن الجديدة ، ويريدونهن على مسايرة النهضة النسوية ، ويروضونهن على أفانين المعيشة الأوربية

فعل الكماليون هذا تقليداً لأوربا وتقرباً اليها ، واستحياء من الاستمساك بآداب لايعرفها الغربيون ، والابقاء على سنن ينكرها السادة الاوربيون . ثم زادوا تقرباً حين أباحوا تزوج المسلمة من غير المسلم ، وقد عاشت المرأة التركية حقباً ترى واجبها أن تربى أشبالها للدفاع عن قومها ودينها ، وحماية تاريخ الاسلام والترك ، وترى نفسها أعز وأرفع من أن يلى أمرها غير مسلم ؛ وكانت هذه الكبرياء عصمة لها ولقومها فى المحن التى انتابتهم ، والفتن المحيطة بهم ، وفى هذا النزاع ، نزاع الحياة والموت الثائر بين الشرق والغرب . فذهبت هذه «النهضة» بكبريائها ، ومحت ما أورثها الاسلام والتاريخ من عزة وإباء

وأتم الكماليون اعظام المرأة وتحريرها بأن فتحوا دوراً للبغايا فسايروا بعض الأمم الأوربية ، وشاركوا مصر الاسلامية فى وصمة العار ، وسمة الخزى ، التى تحاول اليوم أن تمحوها عن جبينها . وقد بلغ من اعتدادهم بما فعلوا ، وافتخارهم بما اقترفوا ما تبين عنه القصة الآتية : حدثنى من لا أرتاب فى صدقه قال : كنت على ظهر سفينة من عابرات المحيط ، ذاهباً إلى المؤتمر البرلمانى فى البرازيل ، وكان على السفينة جماعة من ممثلى الدول يؤمون المؤتمر ، وكان فيهم مندوبو الحكومة التركية ، فجلسنا مرة نتحدث ، وذهب بنا الحديث مذاهب حتى قال مندوب تركى مفتخراً متبجحا : لقد أنفقنا كذا وكذا فى بناء دور نخمة رائعة للبغاء (وذكر مقداراً من المال عظيما جداً ، لا أذكره الآن)

قال محدثى : فلما قام صاحبنا نظر مندوبو الدول الأوربية بعضهم إلى بعض ساخرين متعجبين يقولون : ماذا يريد أن يقول هذا الرجل ؟

* * *

لا يحسبنى أحد مجادلاً فى سفور المرأة واحتجابها فيقولن فيم يجادل هذا الجاهل ؟ لقد سبقتة المدنية مراحل كثيرة فجدال الناس اليوم فى اللبس والعرى . لا يقولن أحد هذا فانى لست أنكر على المرأة أن تأخذ طريقها طليقة رشيدة ، تصرّف أمورها وتقوم بقسطها فى الأمور العامة والخاصة على قدر ما تمكنها أعمال الدار والقيام على الأسرة . ولست أنكر أن الاسلام منح المرأة من الحقوق مالم تظفر به نساء أمم فى أوربا حتى اليوم . لا أنكر هذا ولا أجادل فيه ، ولكنى أضن بالمرأة أن تنزل عن عرشها فى أسرتها لتتبذل فى الطرق والمسارح والمراقص ، وأشفق عليها أن يخدعها الرجال لحاجات فى أنفسهم فيزينوا لها كل ماتنزع إليه مآربهم ، ثم يكذبون فيذكرون الحرية والحق والاصلاح والكرامة ونحو هذا من الكلمات الكاذبة الخادعة ، الثائرة الرائجة فى هذا العصر . أيها الناس لا تخدعوا أنفسكم ولا تجحدوا أن لهو المدنية الحاضرة يدور معظمه حول جسم المرأة فى الطريق والمرقص والمسرح وشاطئ البحر . وحسب المرأة ذلة وهواناً أن تكون ألعوبة الرجال حيثما شاءوا وكيف شاءوا . وبعد فهذا أمر لا يعالج بكلمات ، ولا ينفد بيانه فى صفحات ، فحسبى أن أتناوله مجملاً موجزاً لا معدّداً مناهج النهضة التركية الأخيرة

* * *

ويقتضى المقام هنا كلمة موجزة عن نساء مصر : تغيرت المرأة

المصرية فى السنين الأخيرة تغيراً عظيما . وبعض هذا التغير خير لا مراء فيه ، فقد تعلمت وبصرت بمناهج الحياة ، وهذا صلاح وخير ؛ ولكن ما يسمى النهضة النسائية فى مصر تشوبه شيات من الضلال ، وألوان من أفن الرأى وخدعة الهوى ، ويلتبس الخير والشر فى كثير من جوانبها : فى مصر جماعة تتكلم عن نساء مصر كل حين ، وتدعى أنها تنطق بآلام المرأة المصرية وآمالها ، وهى على ذلك لا تمثل إلا جماعة من النساء هن أقرب إلى أوربا من مصر ، وأشبه بالأجنبيات منهن بالمصريات . وأما المرأة المصرية كما نراها وكما نود أن نراها فلا تمثلها هذه الجماعة إلا بزعمها ؛ هى جماعة كثيرة القول والعمل فى الجوانب اليسيرة البراقة التى لا تكلفها إلا الكلام والاجتماع من حين إلى حين ، وأما جوانب الاصلاح العسيرة التى تقتضى كدّ الفكر واليد وهجر الراحة والرفاهية : جوانب الاصلاح الخلقى والدينى التى تحول بين الناس وبين كثير من رغائب الدنية الأوربية ، فليس للجماعة غرام بها ، ولا صبر عليها . لا ريب أن للجماعة أعمالاً مشكورة فى تربية الفقيرات والحدب عليهن ، ولكن أبرز أعمالها أن تجمع الشواب من بنات الأسر الراقية للغناء والرقص وامتاع النظارة بضروب من المناظر وهلم جرّا . يضربن بذلك للمرأة المصرية أسوأ الأمثال ، ويدعونها إلى شر الخطط ، ويحطمن فى ساعات ما وطدته الأمة فى أجيال

كثيراً ماسألت أصحابى : لماذا لا تدعو هذه الجماعة إلى طريقة خلقية رشيدة ، أو سنة دينية حميدة ؟ لماذا لا يطلبن — مثلاً — أن يكون للنساء الحق فى غشيان المساجد أحياناً ليوعظن ويعلّمن ما منح الاسلام المرأة من حق ، وما فرض عليها من واجب ؟ وقد اطلعت فى عدد الرسالة الأخير على كلمة للأستاذ أحمد أمين « حول المسجد » أخفف عن نفسى بنقل شذرة منها ، قال : « بل لم لا يكون المسجد معهداً للمرأة كما يجب أن يكون معهداً للرجل . فيخصص مسجد كل حىّ وقتاً لنساء الحىّ تعلّم فيه المرأة واجباتها الدينية والاجتماعية ، وتُفقّه فيه فى دينها ودنياها ، وترشد فيه إلى طرق إسعاد البيت ، وتثار همتها إلى العطف والاحسان وتنظيمهما . فالمرأة الآن محرومة من غذائها الروحى والدينى لأنها بعيدة من المسجد ، حرمت منه من غير حق ، وهو سلوتها فى الأزمات ، وهو منهل عواطفها وغذاء روحها . لقد حرمت المرأة من المسجد فحرم أبناؤها وبناتها من العاطفة الدينية . لأن الأم — غالباً — هى مصدر هذا الايحاء ، وإذا انحرفت مرة فلم تجد المسجد يهديها ويعزّيها ، جمحت وغوت . فهى الآن بين بيت وملهى ولا مسجد بينهما يُذهب ملل البيت ويكسر من حدة الملاهى »

فليت شعرى ما رأى سيداتنا فى هذا الكلام ؟ أليس الاهتمام بالمساجد فى حالنا الحاضرة أولى من الاهتمام بالمؤتمرات التى يحرصن عليها ويحاولن فيها أن يسبقن نساء أوربا ؟ أذكر أن وفداً من سيداتنا المصريات ذهب إلى مؤتمر نسائى كان فى روميّة — فيما أذكر — فهل تدرى فيم تكلم الوفد ؟ تكلم فى « حقوق الطفل غير الشرعى » ! !

وأنا أترك القارئ لنفسه هنا يبدى ما يشاء ويقول ما يريد فى هذا الموضوع . وفى هذا العام ذهب وفد للمشاركة فى مؤتمر نسائى اجتمع فى اسطنبول ، فنادين باسم المرأة المصرية أنهن راضيات مغتبطات بما اختطه الكماليون للمرأة التركية ، وبكل ما فعله الكماليون . وتطوعت زعيمتهن فقالت للغازى مصطفى كمال باشا : إنك تسمّيت « أتاتورك » وأنا أسميك « أتاشرق »

وليس يهمنى هنا أنها منحت الغازى لقباً لا معنى له فى اللغة التركية ، فان معنى أتاتورك : التركى الأب ، فمعنى « أتاشرق » على هذا القياس الشرق الأب وهو كلام لا معنى له . ليس يهمنى هذا الغلط اللغوى ولكنى أقول إن الوفد النسائى ما كان يبين عن آراء المرأة المصرية ، ومعظم المصريين من نساء ورجال لا يرضون مذاهب الكماليين فى المرأة ولا غيرها . ومعظم الشرقيين لا يرضون لأنفسهم مذاهب الكماليين ، بل معظم الترك لا يرضونها ، فان كانت الزعيمة أرادت أن تقول إن الغازى صار بعمله أباً للشرق كله فهى أبوّة لا يعترف بها الشرق ، وهى « أبوة غير شرعية » والكلام فيها كالكلام فى الطفل غير الشرعى

لست ، يعلم الله ، أحاول بهذا توهين المساعى النسائية فى مصر ، ولا تهوين أمرها على الناس ، ولا الزراية على أحد من المتصديات لها ، وما أريد لهن إلا الكرامة والرشد ، والنجح والظفر ، ولكن علينا أن ننصح ما استطعنا وأن نبين الرشد والغىّ